

رَفَعُ

جهد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

النفس

مَعْنَى الْقِسَامَةِ

إعداد:

عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

النفوس

مَعَنَا وَأَقْسَامَنَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٣ هـ

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

النفس

مَعْنَاهُ وَقِسْمَةٌ

إعداد:

عبد العزيز بن محمد بن علي العبد اللطيف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يُضِلُّ فلا هاديَّ له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد :

تظهر أهمية دراسة موضوع «**الفسق**» عندما نعلم أن أول نزاع ظهر في الإسلام كان في مسألة الفاسق الملي^(١)، **فقد أحدث الخوارج** القول بتكفير عُصاة الموحدين وتخليدهم في النار، وزعمت المرجئة أن أولئك العصاة كاملو الإيمان، وقالت المعتزلة بالمنزلة بالمنزلة بين المنزلتين في الدنيا، مع التخليد في النار في الآخرة.

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٧٩/٧، ١٨٢/٣.

وهدى الله - تعالى - أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، فقالوا عن أولئك العصاة: إنهم مؤمنون، ناقصو الإيمان، أو مؤمنون بإيمانهم، فاسقون بمعاصيهم، وأنهم تحت مشيئة الله في الآخرة، إن شاء عذبهم بعدله، وإن شاء غفر لهم برحمته.

كما أن الفسق من الوعيد الذي يترتب عليه نتائج وتبعات، كما قال ابن تيمية: «اعلم أن مسائل التكفير والتفسيق هي من مسائل «الأسماء والأحكام». التي يتعلّق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة، وتتعلّق بها الموالاتة والمعاداة...»^(١)

إضافة إلى ذلك فقد حذر النبي، ﷺ، من الحكم بالفسق على شخص ما دون بينة، وإقامة للحجة.

* فعن أبي ذر - رضي الله عنه - أنه سمع النبي، ﷺ، يقول: «لا يرمي رجل رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدّت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك»^(٢).

(١) مجموع الفتاوى ٤٦٨/١٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، ح (٦٠٤٥)، ولمسلم نحوه، كتاب

الإيمان، ح (٦١).

* يقول الحافظ ابن حجر في شرح هذا الحديث : قوله : «إلا ارتدت عليه» . يعني : رجعت عليه ، وهذا يقتضي أن من قال لآخر : أنت فاسق ، فإن كان ليس كما قال ، كان هو المستحق للوصف المذكور ، وأنه إذا كان كما قال لم يرجع عليه شيء ، لكونه صدق فيما قال ، ولكن لا يلزم من كونه لا يصير بذلك فاسقاً ، أن لا يكون أثماً في صورة قوله له : أنت فاسق ، بل في هذه الصورة تفصيل : إن قصد نصحه ، أو نصح غيره ببيان حاله جاز ، وإن قصد تعييره بذلك ومحض أذاه لم يجز ؛ لأنه مأمور بالسّتر عليه ، وتعليمه وعظته بالحسنى ، فمهما أمكنه ذلك بالرفق لا يجوز له أن يفعله بالعنف ؛ لأنه قد يكون سبباً لإغرائه وإصراره على ذلك الفعل ، كما في طبع كثير من الناس من الأنفة ، لاسيما إذا كان الأمر دون المأمور في المنزلة»^(١) .

* يقول ابن تيمية : «إني من أعظم الناس نهياً عن أن يُنسب معين إلى تكفير ، وتفسيق ، ومعصية ، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجّة الرساليّة التي من خالفها كان كافراً

(١) فتح الباري ١٠/٤٦٦ - باختصار.

تارة، وفاسقًا أُخرى، وعاصيًا أُخرى»^(١).
ومما يؤكد أهمية دراسة هذا الموضوع، أن الفسق اسم عام
يشمل الكفر والكبائر وبقية المعاصي، كما سيأتي بيانه - إن
شاء الله تعالى -، ولذا يتعين العلم بحد الفسق وإطلاقاته،
ولعلّ في الصفحات التالية ما يُحقّق شيئاً من ذلك. والله
حسبنا ونعم الوكيل.

(١) مجموع الفتاوى ٢٢٩/٣، وانظر: الروض الباسم لابن الوزير
١١٢/٢.

معنى الفسق

الفسق لغة: الخروج عن الشيء أو القصد، وهو الخروج عن الطاعة.

والفسق: الفجور، والعرب تقول: إذا خرجت الرطبة من قشرها: قد فسقت الرطبة من قشرها.

وفسق فلان في الدنيا فسقاً: إذا اتسع فيها، وهون على نفسه، واتسع بركونها لها، لم يضيقها عليه.

ورجل فاسق، وفسيق وفُسق: دائم الفسق.

والفويسقة الفأرة. تصغير فاسقة، لخروجها من جحرها على الناس وإفسادها، والتفسيق ضدّ التعديل^(١).

وأما المقصود بالفسق اصطلاحاً، فقد تنوّعت عبارات

(١) انظر: اللسان ٣٠٨/١٠، ومعجم مقاييس اللغة ٥٠٢/٤، والمصباح

المنير للفيومي ص ٥٦٨، وترتيب القاموس المحيط للزاوي ٥٠٢/٤،

ومفردات الراغب ص ٥٧٢.

العلماء في ذلك، فنذكر منها ما يلي:

* يقول ابن عطية: «الفسق في عرف الاستعمال الشرعي: الخروج من طاعة الله - عز وجل -، فقد يقع على من خرج بكفر، وعلى من خرج بعصيان»^(١).

* وكذا قال القرطبي^(٢).

* وقال الشوكاني - عن هذا التعريف -: «وهذا هو أنسب بالمعنى اللغوي، ولا وجه لقصره على بعض الخارجين دون بعض»^(٣).

* وقال البيضاوي: «الفاسق الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة»^(٤).

* وقال الألوسي: «الفسق شرعاً: خروج العقلاء عن الطاعة، فيشمل الكفر ودونه من الكبيرة والصغيرة، واختص في العرف والاستعمال بارتكاب الكبيرة، فلا يطلق على

(١) تفسير ابن عطية ١٥٥/١.

(٢) انظر: تفسير القرطبي ٢٤٥/١.

(٣) فتح القدير ٥٧/١.

(٤) تفسير البيضاوي ٤١/١، وانظر: تفسير أبي السعود ١٣١/١.

ارتكاب الآخرين إلا نادراً بقريئة»^(١).

من خلال التعريفات السابقة ندرك عموم مصطلح الفسق، فهو - في الأصل - أعمّ من الكفر^(٢)، حيث يشمل الكفر وما دونه من المعاصي، ولكن خصّه العرف بمرتكب الكبيرة، ولذا يقول الراغب الأصفهاني:

«والفسق يقع بالقليل من الذنوب والكثير، ولكن تعرف فيما كان كثيراً»^(٣).

(١) تفسير الألويسي ٢١٠/١.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/٦٣، ومفردات الراغب ص ٥٧٢، ونزهة

الأعين النواظر لابن الجوزي ٢/٧٢، والكلبيات للكفوي ص ٦٩٣.

(٣) المفردات ص ٥٧٢.

أقسام الفسق وإطلاقه

الفسق له عدة أقسام باعتبارات مختلفة .
فهو ينقسم إلى فسق يُخرج عن الإسلام ، وفسق لا يُخرج عن الإسلام .

* قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : «كل شيء نسبته الله إلى غير أهل الإسلام من اسم مثل خاسر، ومسرف، وظالم، وفاسق، فإنما يعنى به الكفر، وما نسبته إلى أهل الإسلام فإنما يعنى به الذنب»^(١) .

«وقد روي عن ابن عباس وطاووس وعطاء وغير واحد من أهل العلم، قالوا: كفر دون كفر، وفسوق دون فسوق»^(٢) .

* وقال محمد بن نصر المروزي - رحمه الله - : «والفسق فسقان: فسق ينقل عن الملة، وفسق لا ينقل عن الملة،

(١) انظر: تفسير ابن جرير ١/١٤٢، والدر المنثور للسيوطي ١/١٠٥ .

(٢) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب الإيثار .

فَيُسَمَّى الكافر فاسقًا، والفاسق من المسلمين فاسقًا»^(١).
 * وهاهنا أمر مهم لا بد من التنويه به، وهو أن الإيمان لما كان شعبًا متعدّدًا كما أخبر الصادق المصدوق، عليه السلام، في حديث شعب الإيمان^(٢)، فإن ما يقابله ويضاده كذلك، فالكفر شعب ومراتب، فمنه ما يُخرج من الملة، ومنه كفر دون كفر، وكذا النفاق، والشرك، والفسق، والظلم، وهذا أصل عظيم تميّز به أهل السنة عن المبتدعة من الوعيدية والمرجئة^(٣).

* وفسق الكفر قد يكون اعتقاديًا، وقد يكون عمليًا.
 ومثال الاعتقادي: فسق المنافقين زمن النبي، صلى الله عليه وسلم.
 قال - تعالى -: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾. [سورة التوبة، الآية: ٥٣].
 فقوله - تعالى -: ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾. تعليل

(١) تعظيم قدر الصلاة ٢/٥٢٦.

(٢) وهو قوله، صلى الله عليه وسلم: «الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذن عن الطريق...». أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، ح(٩). ومسلم، كتاب الإيمان، ح(٣٥).

(٣) انظر: كتاب الصلاة لابن القيم ص ٥٣ - ٥٨.

لعدم قبول نفقاتهم^(١).

وقال - تعالى - : ﴿إن المنافقين هم الفاسقون﴾ . [سورة

التوبة، الآية : ٦٧].

* قال الشوكاني : «وهذا التركيب يُفيد أنهم هم

الكاملون في الفسق»^(٢).

ومثال الفسق العملي المخرج عن الملة : فسق إبليس،

حيث قال الله - عز وجل - :

﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس

كان من الجنّ فسق عن أمر ربه أفتنخذه وذريره أولياء من

دوني وهم لكم عدوّ بئس للظالمين بدلاً﴾ . [سورة الكهف،

الآية : ٥٠].

فسق إبليس إنما كان بتركه للسجود، وامتناعه عن اتباع

أمر ربه - عز وجل -، وهذا الترك يعدّ فعلاً وعملاً - كما هو

مقررّ في كتب الأصول -^(٣).

(١) انظر: فتح القدير للشوكاني ٣٦٩/٢.

(٢) فتح القدير ٣٧٩/٢.

(٣) انظر: روضة الناظر لابن قدامة ص ٥٤، وإرشاد الفحول للشوكاني

ص ٥٢، والقواعد الأصولية لابن اللحام ص ٦٢، ويقول الشوكاني في =

وفسق الكفر هو المذكور في غالب آيات القرآن الكريم،
وكما قال ابن الوزير:

«قد ورد في السَّمع ما يدلُّ على أن الفاسق في زمان النبي،
ﷺ، يُطلق على الكافر كثيراً، كقوله - تعالى - : ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ . [سورة التوبة، الآية: ٦٧] . وقوله - تعالى - :
﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا
الْفَاسِقُونَ﴾ . [سورة البقرة، الآية: ٩٩] .

وقوله - تعالى - : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَا وَهُمْ النَّارُ كَلَّمَا
أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ
الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [سورة السجدة، الآية: ٢٠] . وذكر
آيات كثيرة ثم قال:

فهذه الآيات دالة على أن الفاسق في العرف الأول يُطلق
على الكافر، ويسبق إلى الفهم»^(١) .

**** وسنورد إضافة إلى ما سبق بعض الأدلة كأمثلة على**

فسق الكفر.

= تفسيره (١٥٨/٢): «وإطلاق اسم الفسق على تارك ما فرضه الله عليه
غير ممتنع شرعاً» .

(١) العواصم والقواصم ١٦٠/٢، ١٦١ - باختصار، وانظر إيثار الحق =

قال الله - تعالى - عن قوم نوح : ﴿وقوم نوح من قبل إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ . [سورة الذاريات ، الآية : ٤٦] .

وقال - تعالى - عن فرعون وقومه : ﴿وأدخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوءٍ في تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ . [سورة النمل ، الآية : ١٢] .

وقال - عز وجل - عن اليهود - على لسان موسى ، عليه السلام - : ﴿قال رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين . قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين﴾ . [سورة المائدة : الآيتان : ٢٥ ، ٢٦] .

وقال - سبحانه - عن النصارى : ﴿ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رَعَوْهَا حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون﴾ . [سورة الحديد ، الآية : ٢٧] .

وجاء في حديث لابن مسعود - رضي الله عنه - مرفوعاً ، تفسيراً لهذه الآية : «المؤمنون الذين آمنوا بي ، وصدّقوا بي ،

والفاسقون الذين كذبوا بي ووجدوا بي»^(١).
وسمى الله - تعالى - المشركين فساقًا، فقال - سبحانه - :
﴿كيف وإن يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاّ ولا ذمّة
يُرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون﴾.
[سورة التوبة، الآية : ٨].

وجاء النصّ القرآني بتسمية بعض أفراد الشّرك فسقًا،
فقال - سبحانه - : ﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه
لفسق﴾ [سورة الأنعام، الآية : ١٢١].

فقد حمل الشافعي - رحمه الله - ذلك على ما ذبح لغير
الله^(٢).

وقال - عز وجل - : ﴿حرّمت عليكم الميتة والدمّ ولحم
الخنزير وما أهلّ لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية
والنطيحة وما أكل السَّبُع إلاّ ما ذكيتم وما ذُبِح على النُّصَب
وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق﴾. [سورة المائدة، الآية : ٣].

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة ح (٧١)، والطبراني في الكبير

(١٠٣٥٧)، وقواه ابن كثير في تفسيره ٣٣٨/٤.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١٦١/٢.

* يقول الشوكاني: قوله: ﴿ذَلِكُمْ فَسْقٌ﴾ إشارة إلى الاستقسام بالأزلام أو إلى جميع المحرمات المذكورة هنا. والفسق: الخروج عن الحدّ، وفي هذا وعيد شديد، لأنّ الفسق هو أشدّ الكفر لا ما وقع عليه اصطلاح قوم من أنه منزلة متوسطة بين الإيمان والكفر»^(١).

وإذا انتقلنا إلى الفسق الذي لا يخرج من الملة، فيمكن تقسيمه إلى فسق الاعتقاد، وفسق العمل.

* ومثال فسق الاعتقاد هاهنا - ما قاله ابن القيم -: «فسق أهل البدع الذين يؤمنون بالله ورسوله واليوم الآخر، ومُحَرَّمُونَ ما حَرَّمَ اللهُ، ويُوجِبُونَ ما أوجِب اللهُ، ولكن ينفون كثيراً مما أثبت اللهُ ورسوله، جهلاً وتأويلاً، وتقليداً للشيوخ، ويثبتون ما لم يثبتهُ اللهُ ورسوله كذلك.

* وهؤلاء كالخوارج المارقة، وكثير من الروافض، والقدرية، والمعتزلة وكثير من الجهمية الذين ليسوا غلاة في التجهم.

* وأما غلاة الجهمية فكغلاة الرافضة، ليس للطائفتين في

(١) فتح القدير ١٠/٢.

الإسلام نصيب»^(١).

* فالفسق أعمّ من البدعة، حيث يُطلق الفسق على البدعة وغيرها، ولذا قال ابن الصّلاح: «كل مبتدع فاسق، وليس كل فاسق مبتدعاً»^(٢).

* ويدل على ذلك ما ورد عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - من تسمية الخوارج فاسقين^(٣).

* وكذا كان شعبة بن الحجاج رحمه الله يسميهم الفاسقين^(٤) لأن الخوارج خرجوا عن طريق الحق، ومروا من الدين بشهادة رسول الله ﷺ، كما خرجوا على خيار المسلمين.

* وأما فسق العمل فأمثلته كثيرة، وإطلاقاته متعدّدة. . . كما جاء ذلك في النصوص الشرعية، وآثار أهل العلم، ولعلّ ما يضبط ذلك ما قاله النووي - رحمه الله - .

(١) مدارج السالكين ١/٣٦٢.

(٢) فتاوى ابن الصّلاح ص ٢٨ (ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ج ٤).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، ح (٤٧٢٨).

(٤) انظر: الاعتصام للشاطبي، ١/٨٤ (تحقيق سليم الهلالي).

«وأما الفسق فيحصل بارتكاب الكبيرة، أو الإصرار على الصغيرة»^(١).

فأما ضابط الكبيرة فقد اختلف في ذلك العلماء اختلافاً كثيراً^(٢).

ولعلّ أصحّ الأقوال في هذه المسألة أن الكبيرة: هي ما فيها حدّ في الدنيا، أو وعيد خاصّ في الآخرة، كالوعيد بالنار، والغضب، واللعنة، وأن الصغيرة ما ليس له حد في الدنيا ولا وعيد في الآخرة.

وهذا المأثور عن ابن عباس - رضي الله عنهما -، وابن عيينة، وأحمد بن حنبل، وأبي عبيد القاسم بن سلام^(٣).

* وقال ابن الصلاح: «الكبيرة كل ذنب كبر وعظم عظماً

(١) فتاوى النووي ص ٢٦١.

(٢) انظر: صحيح مسلم بالنووي ٢/٨٤-٨٧، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١١/٦٥٠-٦٦٠، وشرح الطحاوية ٢/٥٢٥-٥٢٧، ومدارج السالكين ١/٣٢٠-٣٢٧، والجواب الكافي ص ١٦٨-١٧١، وشرح رسالة الصغائر والكبائر لابن نجيم، وفتح الباري ١٠/٤٠٩-٤١٢، والزواجر للهيتمي ١/٥-١٠.

(٣) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١١/٦٥٠، وشرح الطحاوية ٢/٥٢٦، وأضواء البيان للشنقيطي ٧/١٩٩.

يصح معه أن يُطلق عليه اسم الكبيرة، ووصف بكونه عظيمًا على الإطلاق، فهذا فاصل لها عن الصغيرة التي وإن كانت كبيرة بالإضافة إلى ما دونها فليست كبيرة يطلق عليها الوصف بالكبر والعظم إطلاقًا، ثم إن لكبر الكبيرة وعظمها أمارات معرفة بها، منها إيجاب الحد، ومنها الإيعاد عليها بالعذاب بالنار ونحوها في الكتاب والسنة، ومنها وصف فاعلها بالفسق نصًّا، ومنها اللعن كما في قوله، ﷺ: «لعن الله من غير منار الأرض». (١) في أشباه لذلك لا نحصيها» (٢).

* وقال العز بن عبد السلام: «إذا أردت معرفة الفرق بين الصغائر والكبائر فاعرض مفسدة الذنب على مفسد الكبائر المنصوص عليها، فإذا نقصت عن أقل مفسد الكبائر فهي من الصغائر، وإن ساوت أدنى مفسد الكبائر وأربت عليها فهي من الكبائر» (٣).

* ويقول - في موضع آخر - : «والأولى أن تضبط الكبيرة

(١) أخرجه مسلم، كتاب الأضاحي، ح ١٩٧٨.

(٢) فتاوى ابن الصلاح ص ٨ (ضمن مجموعة الرسائل المنيرة / ج ٤).

(٣) قواعد الأحكام ١/١٩.

بما يشعر بتهاون مرتكبها في دينه إشعار أصغر الكبائر المنصوص عليها بذلك»^(١).

* قال ابن حجر: «وهو ضابط جيد»^(٢).

وإذا تقرّر ضابط الكبيرة، «فهاهنا أمر ينبغي التفطن له، وهو أن الكبيرة قد يقترن بها - من الحياء، والخوف، والاستعظام لها - ما يلحقها بالصغائر، وقد يقترن بالصغيرة - من قلة الحياء وعدم المبالاة وترك الخوف والاستهانة بها - ما يلحقها بالكبائر، بل يجعلها في أعلى رتبها.

وهذا أمر مرجعه إلى ما يقوم بالقلب، وهو قدر زائد على مجرد الفعل...»^(٣).

وأما ضابط الإصرار على الصغيرة، فكما قال العز بن عبدالسلام:

«إذا تكرّرت منه الصغيرة تكرراً يشعر بقلّة مبالاته بدينه إشعار ارتكاب الكبيرة بذلك، وكذلك إذا اجتمعت صغائر

(١) قواعد الأحكام ١/٢٢.

(٢) فتح الباري ١٠/٤١١.

(٣) مدارج السالكين ١/٣٢٨.

مختلفة الأنواع بحيث يشعر مجموعها بما يشعر أصغر الكبائر»^(١).

ومن خلال استقرار جملة من النصوص والآثار، فإننا نسوق طرفاً من الإطلاقات على هذا الفسق العملي، كما يلي:
فيسمى القاذف فاسقاً، كما جاء في قوله - تعالى -:
﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون﴾. [سورة النور، الآية: ٤].

ويُطلق على الكاذب فاسقاً،^(٢) كما في قوله - تعالى -:
﴿يأأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تُصيوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾. [سورة الحجرات، الآية: ٦].

* ويقول اللالكائي عن حديث رسول الله، ﷺ:
«سباب المسلم فسوق»^(٣). إن المسلم إذا سبَّ المسلم وقذفه

(١) قواعد الأحكام ١/٢٢، ٢٣.

(٢) انظر: نزهة الأعين النواظر لابن الجوزي ٢/٧٢.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، ح (٤٨)، ومسلم، كتاب الإيمان،

فقد كذب، والكذاب فاسق، فيزول عنه اسم الإيمان^(١).
 * وتسمى محظورات الإحرام فسوقاً، حيث يقول
 - تعالى -: ﴿الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا
 رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج﴾ [سورة البقرة، الآية:
 ١٩٧]. فالفسوق هاهنا محظورات الإحرام كما اختاره ابن
 جرير وغيره^(٢).

* ويعدّ التنابز بالألقاب فسوقاً، كما في قوله - تعالى -:
 ﴿ولا تنابزوا بالألقاب بشئ الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾
 [سورة الحجرات، الآية: ١١].

* وكما في الحديث السابق حيث قال، ﷺ: «سباب المسلم
 فسوق». يقول ابن تيمية في معنى ذلك: «إذا سابتم المسلم
 وسخرتم منه ولمزتموه استحققتم أن تسموا فساقاً»^(٣).

- وسمى النبي، ﷺ، كافر النعمة فاسقاً، كما جاء في
 قوله، ﷺ: «إن الفساق هم أهل النار». قيل: يارسول الله!

(١) أصول اللالكائي ٦/١٠٢٣.

(٢) انظر تفسير ابن جرير ٢/١٥٢، وتفسير ابن كثير ١/٢٢٥.

(٣) انظر الدر المنثور ٧/٥٦٤.

وَمَنْ الْفَسَّاقُ؟ قال: «النساء» قال رجل: يارسول الله أولسن أمهاتنا وأخواتنا وأزواجنا؟ قال: «بلى ولكنهن إذا أعطين لم يشكرن، وإذا ابتلين لم يصبرن»^(١).

فيجوز أن يسمى الفاسق كافر نعمة، حيث أطلقتته الشريعة^(٢).

* ويسمى السارق فاسقاً، حيث سئل حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - فقيل له: ما بال هؤلاء الذين يبقرون^(٣) بيوتنا، ويسرقون أعلاقنا^(٤)؟ قال حذيفة: «أولئك الفساق»^(٥).

* ويعدّ صاحب النفاق الأصغر فاسقاً^(٦).

(١) أخرجه أحمد ٤٢٨/٣، ٤٤٤، وقال الهيثمي في المجمع (٧٣/٤):

«ورجاله ثقات»، وصححه الألباني في «الصحيحة» ح (٢٦٠).

(٢) كتاب الإيمان ص ٢٣٥.

(٣) يبقرون: ينقبون.

(٤) أعلاقنا: نفائس أموالنا.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، ح (٤٦٥٨).

(٦) رد ابن حزم في الفصل (٢٨٧/٣، ٢٨) على من سمى صاحب

الكبيرة منافقاً، وكذا القاضي أبو يعلى نفى ذلك في كتابه: «مسائل

الإيمان ص ٣٥٥ - ٣٦٤ وانظر: اللالكائي ١٠٢٥/٦.

* يقول ابن تيمية: «يسمى الفاسق منافقاً النفاق الأصغر، لا النفاق الأكبر، والنفاق يُطلق على النفاق الأكبر الذي هو إضمار الكفر، وعلى النفاق الأصغر، الذي هو اختلاف السر والعلانية في الواجبات»^(١).

* ويقول - أيضاً - : «وإن أظهر أنه صادق، أو موف، أو أمين، وأبطن الكذب والغدر والخيانة ونحو ذلك، فهذا هو النفاق الأصغر الذي يكون صاحبه فاسقاً»^(٢).

ويدل على ذلك جملة من الآثار، منها: «أن هرم بن حيان قال: إياكم والعالم الفاسق، فبلغ عمر بن الخطاب، فكتب إليه وأشفق منها! ما العالم الفاسق؟ قال: فكتب إليه هرم: يأمر المؤمنين! والله ما أردت به إلا الخير، يكون إمام يتكلم بالعلم، ويعمل بالفسق، فيشبه على الناس فيضلون»^(٣).

وسمى عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - هذا الفاسق

(١) مجموع الفتاوى ١١/١٤٠، يقول الحسن البصري - رحمه الله -: «من النفاق اختلاف اللسان والقلب واختلاف السر والعلانية». أخرجه الفريابي في صفة المنافق ص ٦١.

(٢) مجموع الفتاوى ١١/١٤٣، وانظر: مجموع الفتاوى ٧/٥٢٤.

(٣) أخرجه الدارمي ١/٩٠.

منافقًا، فقال: «إن أخوف ما أخاف عليكم المنافق العليم؟ قالوا: وكيف يكون المنافق عليًّا، قال: يتكلّم بالحكمة، ويعمل بالجور، أو قال المنكر»^(١).

وسئل حذيفة بن اليمان: مَنْ المنافق؟ قال: الذي يصف الإسلام ولا يعمل به^(٢).

* وسمى النبي ﷺ، الروبيضة فويسقًا، فقال، عليه الصلاة والسلام:

«إن أمام الدجال سنين خداعة، يكذب فيها الصادق، ويصدق فيها الكاذب، ويخون فيها الأمين، ويؤتمن فيها الخائن، ويتكلّم فيها الروبيضة، قيل: وما الروبيضة؟» قال: «الفويسق يتكلم في أمر العامة»^(٣).

والروبيضة تصغير الرابضة وهو العاجز الذي ربض عن

(١) أخرجه محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة ٢/٦٣٣.

(٢) أخرجه الفريابي في صفة المنافق ص ٦٦، ٦٧، ومحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة ٢/٦٣١، وابن بطة في الإبانة الكبرى ٢/٦٩١، ٦٩٦.

(٣) أخرجه أحمد ٣/٢٢٠، وقال ابن كثير في النهاية (٥٧/١) عن هذا الحديث «وهذا إسناد جيد تفرد به أحمد من هذا الوجه».

معالي الأمور، وقعد عن طلبها^(١).

وفي الجملة، فقد يقال: إن هذه المعاصي التي سميت فسقاً عملياً أعظم ممن دونها من معاصي لم تسم فسقاً، وكما قال البيضاوي:

«والفسق إذا استعمل في نوع من المعاصي دلّ على عظمته كأنه متجاوز عن حده»^(٢).

* وقال الألويسي:

«الفاسق: المتمرد الأكثر من معصية ما»^(٣).

** وإضافة إلى ما سبق، فإن فسق العمل نوعان

- باعتبار آخر - كما بينه ابن القيم بقوله:

«فسق العمل نوعان: مقرون بالعصيان، ومفرد».

فالمقرون بالعصيان: هو ارتكاب ما نهى الله عنه،

والعصيان: هو عصيان أمره، قال - تعالى -: ﴿ولكن الله

حبّ إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث ٢/١٨٥.

(٢) تفسير البيضاوي ١/٧٢.

(٣) روح المعاني ١/٣٣٥.

والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون ﴿٧﴾ . [سورة الحجرات، الآية: ٧].

وكما قال - تعالى - : ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ﴾ . [سورة التحريم، الآية: ٦]. وقال موسى لأخيه هارون، عليهما السلام : ﴿ ما منعك إذ رأيتهم ضلّوا . ألا تتبعن أف عصيت أمري ﴾ [سورة طه، الآيتان: ٩٢، ٩٣].

فالفسق أخصّ بارتكاب النهي، ولهذا يطلق عليه كثيراً، كقوله - تعالى - : ﴿ وإن فعلوا فإنه فسوق بكم ﴾ . [سورة البقرة، الآية: ٢٨٢]. والمعصية أخصّ بمخالفة الأمر، ويطلق كل منهما على صاحبه، كقوله - تعالى - : ﴿ إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ . [سورة الكهف، الآية: ٥٠]. فسمى مخالفته للأمر فسقاً، وقال : ﴿ وعصى آدم ربه فغوى ﴾ . [سورة طه، الآية: ١٢١]، فسمى ارتكابه للنهي معصية، فهذا عند الأفراد، فإذا اقترنا كان أحدهما لمخالفة الأمر، والآخر لمخالفة النهي^(١).

وفي ختام هذه الوريقات ننبه إلى ضرورة عدم الخلط بين

(١) مدارج السالكين ١/٣٦١، ٣٦٢ - بتصرف.

مفهوم الفسق عند أهل السنة، ومخالفهم .
 فمرتكب الكبيرة عند أهل السنة مع أنه فاسق بكبيرته،
 إلا أنه لا يخرج من الإيمان بالكلية، فيمكن اجتماع الإيمان مع
 هذا الفسق الأصغر - كما هو مقرر عند أهل السنة -، ومن
 ثم فهو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته^(١)، وأمره إلى الله
 - تعالى -، إن شاء غفر له برحمته، وإن شاء عذبه بعدله،
 ومآله إلى الجنة فيما بعد؛ فأهل السنة متفقون على أن فاسق
 أهل الملة - وإن دخلوا النار أو استحقوا دخولها - فإنهم لا بد
 أن يدخلوا الجنة^(٢).

* يقول ابن تيمية - مقررًا هذه المسألة -:

«ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول
 وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، وأن
 الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهم مع ذلك لا

(١) هذا بالنسبة للحكم العام المطلق، فنطلق القول بنصوص الوعيد
 والتكفير والتفسيق، ولا نحكم للمعين بدخوله في ذلك العام حتى
 يقوم فيه المقتضي الذي لا معارض له. انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية
 ٤٨٤/٤، ٣٣٠/١٠، ٤٩٩/٢٨.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٨٦/٤.

يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال - سبحانه - : ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [سورة البقرة، الآية : ١٧٨].

وقال - سبحانه - : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسَطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [سورة الحجرات، الآيتان : ٩ ، ١٠].

ولا يسلبون الفاسق الميِّ الإسلام بالكلية، ولا يخلدونه في النار، كما تقول المعتزلة، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله : ﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾ . [سورة النساء، الآية : ٩٢]. وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله - تعالى - : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [سورة الأنفال، الآية : ٢]. وقوله، ﷺ : «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر

حين يشرها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبه ذات شرف يرفع
الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن»^(١).

ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه، فاسق
بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق
الاسم»^(٢).

فارتكاب الكبيرة يعدّ فسقاً ينافي كمال الإيمان الواجب،
وهذا الفسق يمكن اجتماعه مع الإيمان، وصاحبه متعرض
للعيد، فأهل السنة يقولون بجواز التبعض في الاسم
والحكم، بمعنى أن يكون مع الرجل بعض الإيمان لا كله،
ويثبت له من حكم أهل الإيمان وثوابهم بحسب ما معه، كما
يثبت له من العقاب بحسب ما عليه^(٣).

وإذا تقرر مفهوم الفسق عند أهل السنة، فإننا نورد
مفهومه عند المخالفين.

فأما الأشاعرة فنجد فيهم من يجعل الفاسق الملي مؤمناً

(١) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، ح (٢٤٧٥) ومسلم، كتاب
الإيمان، ح (٧٦).

(٢) العقيدة الواسطية (بشرح محمد خليل هراس) ص ١٥٢ - ١٥٦.

(٣) انظر: شرح الأصفهانية ت: مخلوف ص ١٤٤.

بإطلاق، ويعتبرونه مؤمناً حقاً.

* كما قال أحدهم - وهو الأمدى - «فعلى هذا مهما كان مصدقاً بالجنان وإن أخل بشيء من الأركان، فهو مؤمن حقاً، وانتفاء الكفر عنه واجب، وإن صح تسميته فاسقاً بالنسبة إلى ما أخل به من الطاعات، وارتكب من المنهيات»^(١).

وسمى الإيجي مرتكب الكبيرة مؤمناً بإطلاق^(٢).

وقد سبق أن ذكرنا أن مرتكب الكبيرة - عند أهل السنة - لا يعطى الإيمان المطلق. . فلا يقال عن الزاني أو شارب الخمر - مثلاً - إنه مؤمن بإطلاق، ولكن نقيده، فنقول: مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو مؤمن ناقص الإيمان.

* وقد عاب إبراهيم النخعي - رحمه الله - تلك المقولة،

فقال:

«ما أعلم قومًا أحق في رأيهم من هذه المرجئة؛ لأنهم يقولون: مؤمن ضال، ومؤمن فاسق»^(٣).

(١) غاية المرام في علم الكلام ص ٣١٢.

(٢) انظر: المواقف في علم الكلام، ص ٣٨٩.

(٣) السنة للإمام عبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل ١/٣٤١.

وعلى كلِّ فإنَّ مقالة أولئك الأشاعرة متفرعة عن قول جمهورهم بأن الإيمان هو التصديق، حيث أخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان.

أما المعتزلة فمفهوم الفسق عندهم على عكس المقالة السابقة، فالفاسق عندهم ليس مؤمناً، كما أنه ليس كافراً، بل هو في منزلة بين المنزلتين، ولم يقل أحد من المعتزلة بإيمان مرتكب الكبيرة سوى الأصم^(١).

* يقول عبد الجبار الهمداني المعتزلي :

«صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين، وحكم بين الحكمين، لا يكون اسمه اسم الكافر، ولا اسمه اسم المؤمن، وإنما يسمى فاسقاً، وكذلك فلا يكون حكمه حكم الكافر، ولا حكم المؤمن، بل يفرد له حكم ثالث، وهو المنزلة بين المنزلتين»^(٢). ولما كان مرتكب الكبيرة - عندهم - فاسقاً غير مؤمن، لذا حكموا عليه بالخلود في النار.

(١) انظر: مقالات الإسلاميين ١/ ٣٣٣.

(٢) شرح الأصول الخمسة ص ٦٩٧.

* كما قال عبد الجبار المعتزلي :

«والذي يدل على أن الفاسق يُخَلَّد في النار، ويُعَذَّب فيها أبداً ما ذكرناه من عمومات الوعيد، فإنها كما تدل على أن الفاسق يفعل به ما يستحقه من العقوبة، تدل على أنه يُخَلَّد»^(١).

وقد تبع الزيدية المعتزلة في مفهوم الفسق، ووافقوهم على ما سبق ذكره^(٢).

هذا ما تيسر جمعه في هذا المبحث، وبالله - تعالى - التوفيق
وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

عبد العزيز آل عبد اللطيف

١٤١٣/٤/١٩

(١) شرح الأصول الخمسة ص ٦٦٦.

(٢) انظر: - مثلاً - العقد الثمين في معرفة رب العالمين للحسين بن بدر الدين ص ٥٧، ومصباح العلوم في معرفة الحي القيوم للرضا، ص ٢٠.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
* أهمية هذا الموضوع	٥
* معنى الفسق لغة واصطلاحاً	٩
* أقسام الفسق وإطلاقاته	١٣
* مفهوم الفسق بين أهل السنة والمخالفين	٣١

توزيع مؤسسة الجريسي

الرياض : ت ٤٠٢٢٥٦٤ • جلة : ت ٦٨٢٦١٠٥

الدمام : ت ٨٢٧١٨١١

القصيم : ت ٣٦٤٤٣٦٦ • أبها : ت ٢٢٢٠٤٨٥

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَع

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com